

مختصر

جامع العلوم والحكم

للإمام الحافظ ابن رجب الجنبلي

أخضرة وعلم عاليه

محمد بن سليمان بن عبد الله المهنا





﴿ الْحَدِيثُ الثَّامِنُ وَالْأَرْبَعُونَ ﴾

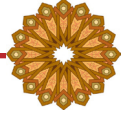
* عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ؛ كَانَ مُنَافِقًا، وَإِنْ كَانَتْ خَصْلَةً مِنْهُنَّ فِيهِ؛ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةً مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ».

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

﴿ الشَّرْحُ ﴾

هَذَا الْحَدِيثُ خَرَّجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ.

وَخَرَّجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اتُّمِنَ خَانَ».



وَالَّذِي فَسَّرَهُ بِهِ أَهْلُ الْعِلْمِ الْمَعْتَبَرُونَ أَنَّ (النَّفَاقَ) فِي
اللُّغَةِ هُوَ مِنْ جِنْسِ الْخِدَاعِ وَالْمَكْرِ، وَإِظْهَارِ الْخَيْرِ وَإِبْطَانِ
خِلَافِهِ. وَهُوَ فِي الشَّرْعِ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

❁ أَحدهما: النِّفَاقُ الْأَكْبَرُ:

وَهُوَ أَنْ يُظْهَرَ الْإِنْسَانُ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ
وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيُبْطِنَ مَا يَنْقِضُ ذَلِكَ كُلَّهُ أَوْ بَعْضَهُ.
وَهَذَا هُوَ النِّفَاقُ الَّذِي كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِذَمِّ أَهْلِهِ وَتَكْفِيرِهِمْ؛ وَأُخْبِرَ أَنَّ أَهْلَهُ فِي الدَّرَكِ
الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

❁ والثَّانِي: النِّفَاقُ الْأَصْغَرُ:

وَهُوَ: نِفَاقُ الْعَمَلِ، وَهُوَ أَنْ يُظْهَرَ الْإِنْسَانُ عِلَانِيَةً صَالِحَةً،
وَيُبْطِنَ مَا يَخَالِفُ ذَلِكَ.

وَأَصُولُ هَذَا النِّفَاقِ؛ تَرْجِعُ إِلَى الْخِصَالِ الْمَذْكُورَةِ فِي



هذه الأحاديث؛ وهي خمسة:

أحدها: أن يحدث بحديث لمن يصدقه به، وهو كاذب له.

والثاني: إذا وعد أخلف. وهو على نوعين:

أحدهما: أن يعد وفي نيته أن لا يفى بوعدِهِ؛ وهذا أشرُّ الخُلف.

الثاني: أن يعد ومن نيته أن يفى، ثم يبدو له فيخلف من غير عُذر له في الخُلف.

الثالث: إذا خاصم فجر؛ ويعني به (الفجور): أن يخرج عن الحق عمداً؛ حتى يصير الحق باطلاً، والباطل حقاً! فإذا كان الرجل ذا قُدرة - عند الخصومة - على أن ينتصر للباطل، ويخيل للسامع أنه حق؛ كان ذلك من أقبح المحرمات، وأخبث خصال النفاق.

الرابع: إذا عاهد غدر، ولم يف بالعهد.



الخامس: الخيانة في الأمانة. فإذا ائتمن الرجل أمانة؛ فالواجب عليه أن يؤدّيها؛ فالخيانة في الأمانة من خصال النفاق.

وحاصل الأمر: أن النفاق كله يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية.

ومن هنا؛ كان الصحابة يخافون النفاق على أنفسهم؛ وكان عمر يسأل حذيفة عن نفسه^(١)!

وسئل أبو رجاء العطاردي: هل أدركت من أدركت من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؛ يخشون النفاق؟ فقال: «نعم؛ إنني أدركت منهم - بحمد الله - صدراً حسناً، نعم شديداً! نعم شديداً!»^(٢).

وقال البخاري في «صحيحه»: قال ابن أبي مليكة:

(١) أي: هل عدّه النبي صلى الله عليه وسلم من المنافقين؟!

(٢) يعني: نعم؛ كانوا يخافونه خوفاً شديداً.



«أدرکت ثلاثین من أصحابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كلُّهم يخافُ النِّفاقَ على نَفْسِهِ»، ويذكرُ عن الحَسَنِ: «ما خافَهُ إِلَّا مؤمنٌ، ولا أَمِنَهُ إِلَّا منافقٌ»^(١)!

والآثارُ عن السَّلَفِ في هذا كثيرةٌ جدًّا.

وسئَلَ الإمامُ أحمدُ: ما تقولُ فيمن لا يخافُ على نَفْسِهِ النِّفاقَ؟ فقال: «ومن يَأْمَنُ النِّفاقَ على نَفْسِهِ؟!».

■ ومن أعظمِ خصالِ النِّفاقِ العمليِّ:

أن يعملَ الإنسانُ عملاً، ويُظهِرَ أَنَّهُ قصدَ بهِ الخَيْرَ، وإنَّما عملهُ ليتوصَّلَ بهِ إلى غرضٍ له سيِّئٍ؛ فيتمُّ له ذلك، ويتوصَّلُ بهذهِ الخديعةِ إلى غرضِهِ، ويفرحُ بمكرِهِ وخِداعِهِ، وحمْدِ النَّاسِ له على ما أظهرَهُ، وتوصَّلَ بهِ إلى غرضِهِ السيِّئِ الَّذي أبطنَهُ.

(١) كتاب الإيمان، من «صحيح البخاري»، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

أقول: وقد شرحه المصنّف الحافظُ ابنُ رجب؛ في كتابه العُجابِ «فتح الباري شرح صحيح البخاري»؛ شرحاً قلَّ أن تراه في غيره.



■ وهذا قد حكاه الله في القرآن عن المنافقين واليهود:

فحكى عن المنافقين أنهم: ﴿...أَتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا
وَكُفْرًا وَتَفَرِّقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
مِنْ قَبْلُ وَلِيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
﴿١٠٧﴾ [التوبة: ١٠٧]، وأنزل في اليهود: ﴿... لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ
مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٨٨﴾ [آل عمران: ١٨٨].

ولما تقرر عند الصحابة رضي الله عنهم أن النفاق هو اختلاف
السِّرِّ والعلانية؛ خشي بعضهم على نفسه أن يكون إذا
تغير عليه حضور قلبه ورقته وخشوعه عند سماع الذكر،
برجوعه إلى الدنيا، والاشتغال بالأهل والأولاد والأموال؛
أن يكون ذلك منه نفاقاً! كما في «صحيح مسلم»، عن حنظلة
الأسدي، أنه مرَّ بأبي بكر وهو يبكي^(١)؛ فقال: ما لك؟ قال:

(١) الباكي: حنظلة، لأبو بكر رضي الله عنه.



نافق حنظلةُ يا أبا بكر! نكونُ عندَ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛
يُذَكِّرُنَا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنَ، فَإِذَا رَجَعْنَا عَافَسْنَا
الْأَزْوَاجَ وَالضَّيْعَةَ؛ فَنَسِينَا كَثِيرًا! قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ؛ إِنَّا
لَكَذَلِكَ! فَاذْهَبْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَالَ: «مَا
لَكَ يَا حَنْظَلَةُ؟!»؛ قَالَ: نَافِقٌ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللهِ! وَذَكَرَ لَهُ
مِثْلَ مَا قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ تَدُومُونَ عَلَى
الْحَالِ الَّتِي تَقُومُونَ بِهَا مِنْ عِنْدِي؛ لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ فِي
مَجَالِسِكُمْ وَفِي طَرِيقِكُمْ! وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ» (١).



(١) أخرجهُ مُسَلِّمٌ (٢٧٥٠).